مجلة العبر للدراسات التاريخية والأثرية في شمال إفريقيا المجلد: 05 العدد: 01 يناير 2022 ص ص: 409-438
ر ت م د (ISSN): 2602-618X / ر ت م د إ (E-ISSN): 2710-8031

أسرة ابن عبد القوي البجائي وأثرها العلمي والاجتماعي في مكة المكرمة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14/15م)

The Ibn Abd al-Qawi al-Baja'i family and its scientific and social impact in Makkah al-Mukarramah during the eighth and ninth centuries AH (14/15 AD)

مرزوق فتيحة ♦

جامعة الجيلالي بونعامة -خميس مليانة، fatiha.merzoug@univ-dbkm.dz

تاريخ الإرسال: 2021/05/23 تاريخ القبول: 2021/09/25 تاريخ النشر: 2022/01/31

الملخص باللغة العربية:

شهدت مكة المكرمة هجرة عدد كبير من المجاورين إليها على اختلاف أجناسهم، وتنوع ثقافاتهم في العصر المملوكي، لأسباب ودوافع متنوعة، حيث قدموا أفرادا، ثم طاب لهم العيش فاستقروا بها، وتزوجوا وأنجبوا، وحرصوا على تعليم أبنائهم وبناتهم، مكوّنين بذلك عائلات وأسرا علمية مشهورة اندمجت وتفاعلت مع العناصر البشرية القاطنة هناك، وشكلت على مرّ السنين جزءا لا يتجزأ من المجتمع المكي، ومن بين هذه الأسر العريقة أسرة ابن عبد القوي البجائي ذات الأصول المغاربية التي كان لها دور حضاري هام وفعال، ليس في مكة المكرمة فحسب، بل امتد تأثيرها الحضاري-وخاصة العلمي منه- ليشمل مناطق مختلفة من بلاد المشرق الإسلامي.

ومن هنا تأتي هذه الورقة البحثية للتعريف بهذه الأسرة ونسبها، وتسليط الضوء على أهم شيوخها وأعلامها، وإبراز ما بذله أفرادها من جهود علمية كبيرة في سبيل خدمة المجتمع المكي في مختلف ميادين الحياة، سواء من خلال توليهم لبعض الوظائف الدينية والإدارية الهامة في الدولة كالقضاء والإفتاء والحسبة وغيرها من الوظائف، أو من خلال ترأسهم لحلقات الدرس ومجالس العلم، وتخريج نخبة من كبار العلماء والمفكرين، الأمر الذي أسهم في تطوير تيار المعرفة في مكة المكرمة بشكل خاص، وفي الحضارة الإسلامية بشكل عام، كما تهدف الدراسة أيضا إلى بيان فضل أفراد أسرة ابن عبد القوي البجائي وعلاقاتهم الاجتماعية بمكة المكرمة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14/15م).

الكلمات المفتاحية: أسرة؛ بجاية؛ مكة المكرمة؛ حلقات الدرس؛ الحياة الاجتماعية.

♦ المؤلف المرسل

Abstract: Makkah witnessed the migration of a large number of neighbors of different races and cultures for various reasons during the Mamluk era. Over the years, they interacted with Makkah citizens and they became an integral part of the society, among them, Ibn Abd al-Qawi al-Baja'i family from Maghreb n, who had an important and effective civilizational role, not only in Makkah, but also its cultural influence spread - especially scientifically - to include different regions of the Islamic East countries. This research paper aims to Introduce this family and its lineage and to present its scholars, and highlights their scientific efforts in order to serve the Meccan society in various fields of life, whether through their religious and administrative positions in the state such as the judiciary, fatwas, and al-Hasbah or through their presiding over seminars and science councils, and the graduation of a group of leading scholars and thinkers. This contributed to the development of knowledge in Makkah, and in the Islamic civilization in general, and the study also aims to explain the merits of the family of Ibn Abd al-Qawi al-Baja'i and their social relations in Makkah during the eighth and ninth centuries AH (15/14 AD).

Keywords: family; Bejaia; Makkah al-Mukarramah; lesson loops; social life.

مقدمة:

انفردت مكة المكرمة بمكانة عظيمة لم تحظ بها أي بقعة على ظهر الأرض، فهي أشرف البقاع وأكرمها، وخير البلاد وأفضلها، إليها تهفو قلوب المسلمين، وتتعلق بها مشاعر العابدين، ويرغب في زيارتها كل مشتاق؛ وإنه لمّا تعددت فضائلها فقد توافد عليها الناس من كل صوب وحدب لنيل شرف المجاورة بجانب حرمها الشريف، انقطاعا في العبادة وأنسا بالمعبود، خاصة بعد أن أصبح السفر إليها واجبا لأداء فريضة الحج .

ومع توالي السنين ازداد عدد المجاورين بهذه البقعة الطاهرة، وتفاوتت مدة إقامتهم من شخص لآخر حسب أحوال كل واحد منهم وظروفه الخاصة؛ فمنهم من مكث فيها فترة من الزمن، ثم رحل بعد تحقيق الأهداف التي بقي من أجلها، ومنهم من فضل الاستقرار الدائم بها، وطاب له العيش فيها بين أهلها، فتصاهر معهم، وأنجب أولادا تربوا على حب العلم والاهتمام به، وشكلوا النواة الأساسية لنشأة الأسر العلمية التي أثْرت الحياة الدينية والثقافية والاجتماعية بمكة المكرمة .

ومن بين هذه الأسر العلمية "أسرة ابن عبد القوي" التي قَدِم جدّها "عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي" من بلاد المغرب الأوسط خلال القرن الثامن الهجري (14م)، وسكن مكة المكرمة ما يزيد عن ثلاثين سنة، حيث توفر له السكن والعمل والمصاهرة مع أهلها، فكوّن أسرة توارثت العلم أبا عن جد من بعده، وأصبحت من أشهر الأسر والبيوتات العلمية التي امتد تأثيرها الحضاري وإشعاعها العلمي على مدى قرنين من الزمن فأكثر ليشمل مناطق مختلفة من بلاد الحرمين الشريفين وحتى المشرق الإسلامي.

ومن هنا جاءت هذه الورقة البحثية التي تتمحور إشكاليتها الرئيسية حول مكانة أسرة ابن عبد القوي البجائي ودورها العلمي والديني والاجتماعي بمكة المكرمة، وتندرج تحت هذه الإشكالية عدة أسئلة فرعية أبرزها: من هي أسرة ابن عبد القوي البجائي؟ وكيف تكونت؟ وما هي الأسباب الكامنة وراء انتقال مؤسسها إلى المشرق الإسلامي؟ وما نوع الوظائف التي تمكن أفرادها من تقلدها؟ وكيف استطاعت هذه الأسرة الاندماج في الوسط الاجتماعي؟ وإلى أي مدى استطاعت أن تساهم في إثراء الحياة العلمية بمكة وتنشيطها؟

وتجدر الإشارة هنا إلى أنه لم يسبق –في حد علمنا- أن تولت دراسة علمية أكاديمية متخصصة الاهتمام بأسرة ابن عبد القوي البجائي، اللهم إلا ما كان من بعض الأبحاث العامة التي أشارت إلى الموضوع بشكل مقتضب ومحدود، وبصورة سريعة وعابرة، نذكر منها الرسالة التي تقدمت بها الباحثة سارة بنت مخلف الحربي لنيل شهادة الماجستير بجامعة الملك سعود (المملكة العربية السعودية) الموسومة ب "المغاربة في مكة في العصر المملوكي"، حيث اكتفت بذكر عدد قليل من علماء أسرة ابن عبد القوي، وركزّت على الأوضاع الاجتماعية والأحوال الاقتصادية للمغاربة بشكل عام، ونفس الأمر بالنسبة للباحثة أسماء جلال صالح عامر التي ذكرت شخصيتين فقط من أفراد هذه الأسرة في ورقتها البحثية الموسومة ب "دور العلماء المغاربة في الحياة العلمية في الحرمين الشريفين"، نشر هذا العمل في جامعة الأزهر، العدد38، المجلد1، (2018م).

ونسعى نحن من خلال دراستنا هذه إلى التعريف بأسرة ابن عبد القوي البجائي التي لا زالت مجهولة إلى اليوم عند عامة أبناء وطنها من الجزائريين، بل حتى عند خاصتهم من المثقفين والأكاديميين، وكشف النقاب عن مدى إسهاماتها العلمية والاجتماعية بمكة المكرمة، كما نهدف أيضا إلى نفض الغبار عن جزء من موروثنا الثقافي، والحفاظ على تميّزه الحضاري.

وقد نهجت الدراسة منهج البحث التاريخي العلمي القائم على جمع المادة العلمية من مصادرها المتعددة، كالمخطوطات، وكتب الطبقات والتراجم، والمراجع الحديثة،

والدوريات، ومن ثم دراستها وتحليلها بطريقة علمية دقيقة لاستخلاص النتائج التي توصل إليها البحث.

1- أسرة ابن عبد القوي البجائي في مكة:

1.1- نسب أسرة ابن عبد القوي البجائي:

البجائي: بكسر الباء التحتية الموحدة وفتح الجيم المخففة بعدها ألف وهمزة[1]؛ نسبة إلى بجاية إحدى مدن المغرب الأوسط (الجزائر اليوم)، تقع على خط طول 2° و45° شرقاً، وخط عرض 36° و45° شمالا[2]، وقد بنيت على جرف حجر يحيط بها البحر من ثلاث جهات فيرتسم موقعها بتقوس إهليجي عرضه حوالي 28 ميل.

ويقابل مدينة بجاية جبل أميسون (جبل يماقوراية حاليا) الذي يبلغ 680م، يمر بالمكان المعروف باسم ملعب الذئب، ثم بالتلال التي يطلق عليها البجائيون اسم "سبع جبلات"، أمّا على يمين المدينة ترتفع جبال أخرى تتموقع بمحاذاة الشاطئ كجبال بوعنداس، وجبال بني تيزي الصخرية، وأذرار أملال الجبل الأبيض، وتيزي أزرزور المتفرعة عن سلسلة جبال البابور[3]، ممّا يجعلها موقع حصين وآمن يصعب الوصول إليه بسهولة.

وفي هذا الصدد يقول العبدري: «ثم وصلنا إلى بجاية مبدأ الاتفاق والنهاية، وهي مدينة كبيرة حصينة منيعة برية وبحرية، مقطوعة بنهر وبحر، مشرفة عليها أشراف الطليعة متحصنة بهما منيعة»[4]، ما يعني أنها بعيدة عن خطر الهجومات الخارجية.

كما تمتاز بجاية بمناخ معتدل صيفا، حيث متوسط درجة الحرارة السنوية فيها 17 درجة مئوية[5]، ويحدث أحيانا أن ترتفع درجة الحرارة إلى ما بين 30 و40 درجة بسبب جبل يماقوراية الذي يحجب المدينة ويمنع عنها الرياح الشمالية، أما الجهة الجنوبية فهي أكثر

1- ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج1، ط1، دار صادر، بيروت، 1977م، ص339.

2- عزوق عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية، ط1، مؤسسة الضحى، الجزائر، 2013م، ص35.

3- إسماعيل العربي، بجاية العاصمة الثانية لبني حمّاد، مجلة الثقافة، وزارة الإعلام والثقافة، ع18، ديسمبر-جانفي 1973م، ص25.

4- محمد العبدري، الرحلة المغربية، تق: سعد بوفلاقة، ط1، منشورات بونة، الجزائر، 2007م، ص49.

5- Stéphane Gsell, atlas archéologique de l' Algérie, Bibliothèque de la Maison de l'Orient et de la Méditerranée (MOM), Alger, 1911, p12.

عرضة للرياح، ويكثر بها سقوط المطر في فصل الشتاء ممّا يجعها منطقة زراعية غنية بأشجار الزيتون والصفصاف، وأنواع عدّة من النباتات الطبية وغيرها[6].

وقد عرفت مدينة بجاية أزهى عصورها في عهد الدولة الحمادية بعدما اختارها الأمير الناصر بن علناس عاصمة ثانية لدولته في سنة 460هـ/1067م، وأحاطها بسور عظيم ورصيف يمتد إلى البحر، وجلب لها المياه بقناطر معلقة من جبل توجه، وبنى الجامع الأعظم، وقصر اللؤلؤة، وسماها الناصرية[7]، وغدت منذ ذلك التاريخ قاعدة المغرب الأوسط، أم أقطاره، وعاصمة أمصاره، على حد تعبير بعض المؤرخين.

وبعد قدوم الحملة الموحدية وعلى رأسها عبد المؤمن بن علي سنة 547هـ/1152م، أصبحت بجاية تابعة للموحدين حتى القرن السابع الهجري (13م)، وبعد سقوط هذه الأخيرة دخلت بجاية تحت راية الحفصيين، حين استقل أبو زكريا يحيى عن الخلافة الموحدية ووطد دعائم دولته بتونس في سنة 629هـ/1229م[8].

2.1- أول من قدم من أسرة ابن عبد القوي البجائي إلى مكة المكرمة:

تنسب أسرة ابن عبد القوي البجائي إلى عميدها ومؤسسها الشيخ عبد القوي بن محمد بن عبد القوي بن أحمد بن محمد بن علي بن محمد بن معمر بن سليمان بن عبد العزيز بن أيوب بن علي بن محمد أبو محمد البجائي المالكي، وبالرغم من أهمية هذه الشخصية ومحوريتها إلا أنه ليس لدينا معلومات كثيرة عنها خاصة في مرحلتي الصبا والشباب، باستثناء بعض المصادر التاريخية التي حوت إشارات ونتف لا تشفي غليل الباحث، منها ما أورده أبو المحاسن ابن تغري بردي في كتابه "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي" من: «أنه ولد في سنة 743هـ/1344م ببجاية»[9]، فمن المؤكد أنه قد نشأ بها وتلقى تعليمه الأولي في مساجدها ومدارسها، وجلس إلى كبار علمائها وراود

6- الشريف الإدريسي، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق)، ط1، مطبعة بريل، ليدن، 1863م، ص90.

7- محمد الشريف سيدي موسى، مدينة بجاية الناصرية (دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية)، تق: محمد الأمين بلغيث، دار كرم الله للنشر والتوزيع، الجزائر، 2011م، ص16.

8- أبو عبد الله محمد ابن الشّماع، الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تح: الطاهر بن محمد المعموري، الدار العربية للكتاب، تونس، 1984م، ص56.

9- يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمد أمين، ج7، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 1993م، ص328.

حلقاتهم العلمية أمثال؛ أحمد بن إدريس البجائي، وعبد الرحمن الوغليسي، ومحمد بن بلقاسم المشدالي، وسليمان بن يوسف الحسناوي وغيرهم كثير.

ولمّا بلغ من العمر 18 سنة شد الرّحال نحو بلاد المشرق الإسلامي لأداء فريضة الحج وطلبا للعلم، حيث اتجه أولا إلى مدينة القاهرة وأخذ عن فطاحل علمائها وفي مقدمتهم الفقيه المحدّث الأصولي يحيى بن عبد الله الرّهوني (ت773هـ/1374م)[10]، ولا يمكن لمن لم تكن ذخيرته العلمية في الفقه خاصة، كبيرة ومستوفية، أن يجلس مجلس الرّهوني، وهو من رؤوس المذهب المالكي في مصر، والمنفرد بشرح مختصر ابن الحاجب في الأصول[11]. وهذا إن دلّ على شيء فإنه يدل على سعة علم الشيخ ابن عبد القوي وتنوع معارفه.

مكث الشيخ عبد القوي البجائي بجامع الأزهر الشريف في القاهرة ما يقرب ست سنوات تخللتها حجتان إلى بيت الله الحرام، كانت كلها كدّ وجدّ وعمل دؤوب في البحث والتدقيق والتحقيق، ولنا أن نتساءل هنا عن سبب اختياره للقاهرة دون غيرها من المدن المشرقية؟ والجواب يكمن في أن مصر كانت خلال تلك الفترة التاريخية معقلا للعلوم والمعارف الإنسانية، ومقصدا للطلبة والعلماء من أنحاء الدنيا، وعاصمة الفكر والثقافة، وتقوم شهادة ابن خلدون دليلا قاطعا على ما وصلت إليه من رقي وتطور حضاري، إذ يقول عنها: «ونحن لهذا العهد نرى أن العلم والتعليم إنما هو بالقاهرة من بلاد مصر، كما أن عمرانها مستبحر وحضارتها مستحكمة منذ آلاف السنين...»[12].

وفي سنة 770هـ/1371م انتقل شيخنا إلى بيت الله الحرام لأداء فريضة الحج، ولكن في هذه المرة قرّر السكن في مكة المكرمة والاستقرار فيها نهائيا، ولعل من أهم العوامل التي شجعته على البقاء فيها إضافة إلى التفرغ للعبادة والانقطاع عن ملذات الدنيا، هي الرغبة في الاستزادة من العلوم الفقهية واللغوية وسائر العلوم المختلفة، والتشرف بأخذ العلم من أفواه علمائها، خاصة إذا علمنا أنّ مكة المكرمة هي مهبط الوحي –الينبوع الأول للعلم والمعرفة-، ومنطلق الدعوة الإسلامية، ومنشأ المذاهب الفقهية، والمدارس

10- هو شرف الدين يحيى بن عبد الله الرّهونيّ المالكي، نسبة إلى رُهُون جبل قرب فاس بالمغرب الأقصى، ممّن درَّس الفقه بالمدرسة الشيخونية، والحديث بالصرغمتشية بمصر، وأفتى، له عدة تصانيف، أنظر: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، إنباء الغمر بأنباء العمر، تح: حسن حبشي، ج1، لجنة إحياء التراث الإسلامي، القاهرة، 1969م، ص32.

11- محمد الصغير بن لعلام، علماء من زواوة، ج2، ط3، شركة الأصالة، الجزائر، 2019م، ص326.

12- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج2، ط1، مكتبة الهداية، دمشق، 2004م، ص170.

الفكرية، كما أنها ظلت تشكل طيلة تلك الحقبة مركزا للريادة العلمية، ممّا جعلها دون منازع عاصمة للثقافة الإسلامية[13].

زد على ذلك وجود المرافق الضرورية لإقامة المجاورين والغرباء كالمدارس والأربطة والزوايا، وتوفر الأطعمة والمؤن الغذائية، وعناية السلاطين المماليك وأمراء مكة بضيوف بيت الله الحرام وحمايتهم[14] وغيرها من المغريات التي كانت خير مشجع على مكوث هؤلاء الوافدين في مكة المكرمة، وحثهم على التفرغ للعلم وطلبه.

بيد أن هناك عوامل وأسباب أخرى ساهمت –بطريق أو بآخر- في خروج الشيخ عبد القوي البجائي من بلاده واستقطابه للمجاورة في مكة المكرمة، والاستقرار الدائم فيها، من أبرزها الصراع الذي كان قائما على مدينة بجاية ما بين بني حفص من تونس، والمرينيين الذين استولوا عليها ابتداء من سنة 748هـ/1347م[15]، ودخول إمارة بني توجين في مرحلة الانفلات الأمني بسبب الفتن الداخلية، والاضطرابات الخارجية، وكذلك تفشي الأمراض والأوبئة[16] في المنطقة وقتئذ، والتي دفعت بالعديد من الأهالي إلى الهجرة خوفا من شبح الجوع والموت.

إذن أول ما قام به الشيخ عبد القوي البجائي بعد أن استوطن أم القرى، هو الاتصال بعلمائها والقادمين إليها على اختلاف ألوانهم ومشاربهم، وتحصيل الإجازات العلمية منهم، وتبادل الآراء معهم في مختلف القضايا والمسائل العلمية، فكان ممّن أخذ عنهم كل من العالم موسى المراكشي، وسعد الدين الإسفراييني، وعفيف الدين النيسابوري النّشاوري (ت790هـ/1389م)[17] الملقب "بمسند الحجاز" من علماء القرن التاسع الهجري

13- إبراهيم القادري بوتشيش، العلماء المجاورون بمكة: نموذج للملتقيات العلمية بمكة في العصر الوسيط، مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث، مؤسسة الفكر الإسلامي، ع33، 2012م، ص90.

14- يوسف بن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج12، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، 1970م، ص108، محمد حمزة إسماعيل الحداد، السلطان المنصور قلاوون، ط2، مكتبة مدبولي، القاهرة، 1998م، ص102.

15- محمد الشريف سيدي موسى، مرجع سابق، ص41.

16- نذكر على سبيل المثال وباء الطاعون الذي اجتاح مدينة بجاية في سنة 750هـ/1349م، وحصد الآلاف من الأرواح، أنظر: ابن قنفذ القسنطيني، أنس الفقير وعز الحقير، تح: محمد الفاسي، أدولف فور، المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، الرباط، 1965م، ص47.

17- تقي الدين الفاسي، ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تح: محمد صالح المراد، ج2، ط1، جامعة أم القرى، 1997م، ص459.

(15م)، درس عليه عبد الرحيم بن الجمال الأميوطي، وأبي الفتح بن أبي بكر المراغي، وابن حجر العسقلاني[18].

وبعد أن طابت نفس الشيخ عبد القوي البجائي في مكة واستراحت روحه اتخذ لنفسه أهلا ودارا، وأنجب ولدان هما؛ محمد وأحمد، وبنت واحدة اسمها رقية، ورباهم أفضل تربية، علما وخلقا وسلوكا، فكانوا من أشهر العائلات العلمية في مكة، وبهم انتشرت ذرية ابن عبد القوي البجائي في مكة المكرمة.

قطن الشيخ أبو محمد البجائي مكة المكرمة ما يزيد عن ثلاثين سنة، لم يغادرها إلا إلى الطائف لفترات قليلة متقطعة، وقد التحق بالرفيق الأعلى في ليلة الأربعاء الثالث من شهر شوال سنة 816هـ/1412م، ودفن بمقبرة المعلاة[19].

3.1- نشأة أفراد أسرة ابن عبد القوي البجائي وتفرعاتهم:

أنجب الشيخ عبد القوي البجائي كما ذكرنا سابقا ثلاثة من الأبناء هم محمد، وأحمد، ورقية ممّن اشتغل بالعلم وبرع فيه:

❖ فأما الابن الأكبر للشيخ عبد القوي، فهو محمد بن عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي، الملقب بقطب الدين، ويكنى بأبو الخير، وهو أكبر إخوانه عمرا، ولد بمكة المكرمة سنة 781هـ/1380م، وحرص والده على تنشئته نشأة علمية دينية منذ الصغر، وذلك بتحفيظه القرآن الكريم، وتلقينه العلوم الشرعية واللغوية، بحيث أخذ عنه "رسالة ابن أبي زيد القيرواني"، و"عمدة ابن رشيق المسيلي"، و"ألفية ابن مالك الأندلسي"، ثم أوكله إلى شيوخ الحرم الشريف المقيمين منهم والوافدين وهم كثر، أمثال

18- شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسس للمعجم المفهرس، تح: يوسف عبد الرحمن الرعشلي، مج2، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، 1994م، ص102.
19- ابن تغري بردي، مصدر سابق، ص328.

البرهان بن صديق، وأبي بكر بن الحسين المراغي[20]، وأبي الخير خليل بن هارون الجزائري[21].

وأُجيز أبو الخير بن عبد القوي البجائي في سنة 795هـ/1394م من طرف كوكبة كبيرة من العلماء في العالم الإسلامي في ذلك العصر، كالزين العراقي، ونور الدين الهيتمي، وقد تميّز بالاجتهاد والنجابة، وبرز بين خلانه في الحفظ وسعة الاطلاع، بالإضافة إلى نبوغه في فنون كثيرة، خصوصا في الشعر والأدب، وكذلك التاريخ والأنساب[22].

وَوَلد قطب الدين؛ يحي ومريم، ومحمد واشتهر ثلاثتهم بطلب العلم:

*فأما يحيى بن أبي الخير بن عبد القوي البجائي، الملقب بمحي الدين، فقد وُلد في سنة 813هـ/1409م بمكة ونشأ بها، وحصل الكثير من العلوم لا سيما القراءات، والحديث النبوي الشريف، توفي سنة 859هـ/1458م[23]، ودفن عند أبيه وجده بالمعلاة، وقد خلّف أربعة أبناء هم؛ إدريس، ومعمر، والفضل، وجعفر.

-فأما إدريس أبو العلاء بن محي الدين، فقد وُلد في سنة 846هـ/1442م بمكة المكرمة، وحفظ القرآن الكريم، وغالب "رسالة ابن أبي زيد" في الفقه، ودخل القاهرة والشام واليمن للاسترزاق[24]، وله من الأبناء: أبو الليث الذي توفي بمصر سنة

20- هو زين الدين أبو بكر بن الحسين بن عمر بن أبي حفص عمر بن محمد العثماني المراغي المصري الشافعي، ولد بالقاهرة سنة 727هـ/1326م، ونشأ وتعلم بها، ثم ارتحل إلى الحجاز واستوطن المدينة المنورة نحو خمسين سنة، تصدى خلالها لتدريس الحديث الشريف، كما تولى في سنة 809هـ/1405م قضاء المدينة للشافعية، والخطابة والإمامة، توفي سنة 816هـ/1412م بالمدينة المنورة، أنظر: تقي الدين المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تح: محمود الجليلي، مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 2002م، ص130.

21- هو أحد علماء المغرب الأوسط الذين جاوروا بمكة خلال القرن الثامن للهجرة (14م)، وتفرغ للاشتغال بالتدريس داخل المسجد الحرام مدة عشرين سنة، وله العديد من المصنفات منها، مجلد في "الأحاديث القدسية"، وله مجلد كبير في الأذكار يسمى "تذكرة الإعداد لهول يوم الميعاد" اختصره في مجلد صغير، توفي بالمدينة المنورة عام 826هـ/1422م، أنظر: شهاب الدين ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسّس للمعجم المفهرس، تح: يوسف عبد الرحمن الرعشلي، مج3، ط1، دار المعرفة للطباعة والنشر، لبنان، 1994م، ص109.

22- عمر بن فهد، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: عبد الملك دهيش، ط1، دار خضر للطباعة والنشر، بيروت، 2000م، ص166.

23- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج10، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص250.

24- عمر بن فهد، الدر الكمين، مصدر سابق، ص624.

911هـ/1510م، ويحي شرف الدين (ت926هـ/1525م) الذي خلف ذكرين وبنتين مزوجتين، أكبرهما على محمد بن الشيخ باكثير، وثانيهما على محمد بن الشيخ الحطاب، وعبد الرحمن الذي أنجب ولدا أسماه أحمد.

-والابن الثاني ليحيى هو معمر، الملقب بسراج الدين، ولد في سنة 848هـ/1448م بمكة ونشأ بها، سمع على كثير من العلماء من أهل مكة والقادمين إليها، ورحل في طلب الحديث، فسمع بالقاهرة والجيزة وغيرهما من البلدان الإسلامية، كما اجتهد في علوم أخرى وحصّل فيها، كعلم القراءات، والعربية، والفقه وأصوله، والمنطق، وله مشاركة حسنة في غير ذلك من العلوم، مات عام 897هـ/1493م[25]، ودفن بالمعلاة، وله من الأبناء: الشهاب أحمد (ت891هـ/1487م)، والجمال محمد (ت904هـ/1503هـ)، والعفيف عبد الله، وأبو اليمن طاهر، وحليمة.

-والابن الثالث ليحيى بن أبي الخير محمد بن عبد القوي فهو الفضل، الملقب بكمال الدين، ولد سنة 853هـ/1449م بمكة ونشأ بها، فحفظ القرآن وكتب غيره، واشتغل ببلده والقاهرة في الفقه والنحو وغيرهما، ورحل إلى اليمن، توفي عام 918هـ/1514م[26]، وله ثلاثة أبناء هم: أبو البقاء معمر، وأبو المكارم محمد، وجعفر الملقب بزين الدين، وأم الهدى.

-وأمّا الابن الرابع لمحي الدين يحيى فهو؛ جعفر المكنى في كتب التراجم بأبي الغيث، الملقب بالغياث[27]، ولد سنة 856هـ/1452م بمكة ونشأ بها، فحفظ القرآن وكتبا، واشتغل بالفقه وغيره، وأخذ عن بعض العلماء أمثال يحيى العلمي القسنطيني (ت888هـ/1484م)[28]،والسخاوي، وغيرهما، توفي سنة 894هـ/1492م، أنجب ولدا اسمه

25- نفسه، ص1200.

26- عبد العزيز بن فهد، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، ط1، دار القاهرة، مصر، 2005م، ص1831.

27- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تح: بشار عوّاد معروف، عصام فارس الحرستاني، أحمد الخطيمي، مؤسسة الرسالة، ط1، بيروت، 1995م، ص1107.

28- هو يحيى بن أحمد بن عبد السلام بن رحمون، أبو زكريا شرف الدين المعروف بالعُلمي، ولد بمدينة قسنطينة من بلاد المغرب الأوسط ونشأ بها، ثم سافر إلى مكة المكة أكثر من مرة وجاور بها، واشتهر بتدريس اللغة العربية وعلومها، والفقه، والمنطق، وله العديد من المصنفات، منها "شرح على المدونة"، و"المختصر"، و"الرسالة"، أنظر: أحمد بابا التنبكتي، نيل الابتهاج بتطريز الدّيباج، تق: عبد الحميد عبد الله الهرامة، ج1، ط1، منشورات كلية الدعوة الإسلامية، طرابلس، 1989م، ص636.

أبو المكارم محمد في شهر ربيع الأول سنة 890هـ/1485م، لكنه توفي بعد ذلك ببضعة أشهر.

*والبنت الثانية للقطب أبي الخير محمد بن عبد القوي البجائي فهي مريم، ولدت بمكة، ولم تسعفنا المصادر بتاريخ مولدها، إلا أنّ سماعها على ابن الجزري سنة 823هـ/1419م يقتضي أن مولدها كان قبل ذلك، وقد حصّلت الكثير من العلوم، وأجازها جملة من علماء القاهرة، ودمشق، وبيت المقدس، تزوجها القاضي أبو عبد الله النويري[29]، والزين عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر الريمي، ثم البدر بن العليف[30] فولدت له عليا، وأحمد، وخديجة، وزينب، توفيت سنة 860هـ/1456م، ودفنت بالمعلاة[31].

*وأمّا الابن الثالث للقطب أبي الخير، فهو محمد بن عبد القوي البجائي، ويلقب بجمال الدين، ويكنى بأبو اليسر، ولد في سنة 823هـ/1419م بمكة ونشأ بها، لازم شيخه ابن الجزري في الحديث الشريف، وسافر إلى القاهرة وغيرها، توفي سنة 898هـ/1494م.

❖ والابن الثاني لمؤسس الأسرة هو أحمد بن عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي، الملقب بالشهاب، ولد سنة 797هـ/1396م بمكة ونشأ بها، وقرأ فنونا على علماء مكة والقادمين إليها، وأجاز له خلق كثير، وحضر دروس والده والقاضي شمس الدين البساطي، ثم جاور بالحرم المكي في سنة 834هـ/1430م، وتوفي عام 861هـ/1457م[32]، ودفن بالمعلاة.

29- هو ولي الدين أبو عبد الله محمد بن علي الهاشمي النويري المكي، قاضي قضاة المالكية بمكة المكرمة في سنة 837هـ/1433م، وقد كان عفيفا في قضائه، ذا مروءة وأفضال، سريع الدمعة خاشعا لله، أنظر: عمر بن فهد، الدر الكمين، مصدر سابق، ص205.

30- هو حسين بن محمد بن حسن الشراحيلي الحكمي الشافعي، الشهير بابن العُليف، ولد بمكة سنة 794هـ/1393م، تصدى للتدريس بالمسجد الحرام سنين، وبرع في الأدب، وقال الشعر الجيد، توفي سنة 856هـ/1452م، أنظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تح: نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، ج4، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2007م، ص37.

31- عمر بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح: عبد الكريم علي باز، ج4، ط1، مركز البحث العلمي وأحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1988م، ص366.

32- نفسه، ص378.

وقد أنجب ولدا اسمه محمد بن أحمد بن عبد القوي البجائي (ت909هـ/1508م)، الملقب بجمال الدين، ووَلد هو بدوره أربعة أبناء هم: أبو الفتح أحمد، وحسين، وعبد اللطيف (ت889هـ/1485م)، وعبد الوهاب (ت912هـ/1511م).

❖ وأما البنت الثالثة لمؤسس الأسرة فهي رقية ابنة عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي، ولدت بمكة المشرفة ونشأت بها، وأجاز لها في سنة 805هـ/1401م البرهان ابن صديق، والحافظان العراقي والهيتمي، وجميع من أجاز أخاها أحمد بن عبد القوي، تزوجها محمد بن عبد الله القرشي وأولدها بنت تدعى ست قريش، وكانت خيرة مباركة، ماتت في سنة 874هـ/1470م ودفنت بالمعلاة[33].

وأمّا عن الأماكن التي سكن فيها أفراد أسرة ابن عبد القوي، فقد تعددت في مكة المكرمة، واختلفت حسب المستوى المادي لهم، فمنهم من اتخذ منازل خاصة في الأحياء والأزقة، كأبو المكارم بن كمال الدين أبو الفضل بن عبد القوي الذي سكن ببيت مجاور لباب الدريبة أحد أبواب المسجد الحرام[34]، وأخته أم الهدى التي كانت تملك بيتان ورثتهما من أبويها، أحدهما يقع بسوق الليل[35]، والآخر بالمسعى[36].

ومنهم من اتخذ من الأودية أماكن لسكناهم لاشتهار قراها بالزراعة والثمار، فقد سكن على سبيل المثال أبو الليث بن إدريس بن عبد القوي بوادي البَرابر[37]، وولد فيه

33- عمر بن فهد، الدر الكمين، مصدر سابق، ص1426.

34- جار الله بن فهد، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تح: محمد الحبيب الهيلة، ج2، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، المدينة المنورة، 2000م، ص794، والدريبة اسم لأحد أبواب المسجد الحرام، يقع في النهاية الشرقية للجدار الشمالي، وكان يعرف بباب دار شيبة بن عثمان، وسُمي بذلك لأنه يفتح على درب صغير ينفذ منه إلى سويقة، أنظر: طه عبد القادر عمارة، تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، جامعة أم القرى، 2008م، ص151.

35- الموضع الذي يقال له مولد النبي صلى الله عليه وسلم، وهو المشهور عند أهل مكة، أنظر: عبد الله الغازي، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تح: عبد الملك دهيش، مج2، ط1، مكتبة الأسدي، مكة المكرمة، 2009م، ص67.

36- جار الله بن فهد، نيل المنى، ج2، ص804.

37- وهي قرية لطيفة مقابلة القصر والحميمة والبحرين وواسط، فيها نخيل ومزارع وماء عينها أجاج، أنظر: جار الله بن فهد، حسن القرى في أودية أم القرى، تح: علي عمر، ط1، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، 2001م، ص63.

ابنه الريس في سنة 909هـ/1508م[38]، وأمّا عمه معمر بن يحيى بن عبد القوي فقد كان يقيم أياما بوادي نخلة[39].

2- الوظائف التي تولاها أفراد أسرة ابن عبد القوي البجائي بمكة المكرمة:

شغل أفراد أسرة ابن عبد القوي البجائيّ خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (15/14م) العديد من الوظائف والمهام المتنوعة بمكة المكرمة، وقد أهلهم لذلك علمهم الغزير وثقافتهم الموسوعية، فظهر منهم القضاة والمفتون والخطباء والمدرسون، ولعل من أبرز هذه الوظائف ما يلي:

1.2- القضاء:

يعتبر منصب القضاء من أجل الوظائف الدينية في المجتمع الإسلامي وأرفعها قدرا، وأعظمها رتبة، ويكتسب أهمية خاصة في مكة المكرمة نابعة من أهمية مكة نفسها ومكانتها المقدسة في قلوب المسلمين، ولذلك نجد كثيرا من خلفاء الدول الإسلامية وأمرائها وولاتها يكرّمون القضاة، ولا يتدخلون في عملهم، ويحترمون قراراتهم.

وكان للقاضي في مكة مهام كثيرة ومتشعبة تدل على مكانته وقوة شخصيته، من بينها فصل النزاعات وقطع التشاجر بين المتخاصمين، والنظر في جميع القضايا الجنائية، كما يدخل في اختصاصه النظر في عقود الزواج والبيع والإجارة والتوصية، والإشراف على أموال الأيتام[40] المحجور عليهم وأموال المواريث، وتوزيع الصدقات السلطانية على أهل مكة، وتحديد الوقوف بعرفات[41]، والإشراف على الأعمال التي تتم داخل المسجد الحرام ومراقبة العاملين فيه، وغيرها من الوظائف المتعددة وواسعة الصلاحية.

ونظرا لأهمية القضاء في مكة المكرمة خلال العصر المملوكي، فقد كان يتم اختيار القضاة وفق شروط ومعايير محددّة، من أهمها أن يكون المترشح لهذا المنصب مسلما،

38- العز بن فهد، بلوغ القرى، مصدر سابق، ص1290.

39- يقال لها المضيق الأعوج، وبستان ابن عامر، وهو أول واد خضر نضر في ضواحي مكة من جهة الشرق، يسكنه عرب هذيل، أنظر: جار الله بن فهد، حسن القرى، ص99.

40- عمر بن فهد، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تح: فهيم محمد شلتوت، ج3، ط1، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، مكة المكرمة، 1984م، ص451.

41- نفسه، ص233.

ذكرا، بالغا، عاقلا، حرا، عادلا، سليم الحواس، عالما بالأحكام الشرعية، خاصة في علوم الفقه[42]. وقد تقلد منصب القضاء من أبناء أسرة ابن عبد القوي البجائي بمكة المكرمة:

-**محمد بن عبد القوي البجائي أبو الخير**: الذي تولى نيابة القضاء في عقود الأنكحة والبيع عن القاضيين المالكيين الكمال أبو البركات القسطلاني[43]، والولي أبو عبد الله النويري[44].

وأمّا ابنه **محمد بن محمد بن عبد القوي البجائي أبو اليسر** فقد تولى القضاء في هرمز والهند، وأُسند إليه الحكم بقضايا القصاص[45].

ومن المعروف أن يكون للقاضي أعوان يساعدونه في تطبيق العدل، وحماية الحقوق، وتطبيق الأحكام الشرعية، من بينهم:

*كاتب الوثائق: يقوم بتسجيل الدعاوي والبيانات وضبط الأحكام الصادرة عن القاضي في الأقضية، ويعمل أيضا على تحرير العقود والوثائق باختلافها كعقود البيع والزواج والوصايا والأوقاف[46]، ويصل به الحال في بعض الأحيان إلى التوقيع نيابة عن

42- محمد بن صالح الطاسان، القضاء في مكة في العهد المملوكي، مجلة العصور، دار المريخ للنشر، مج6، ج2، 1991م، ص301.

43- هو كمال الدين محمد بن محمد بن أحمد بن حسن بن الزين القسطلاني المكي المالكي، تولى قضاء مكة في سنة 830هـ/1426م، وعزل عدة مرات أخرها سنة 860هـ/1456م، ثم أعيد في شهر ذي القعدة واستمر إلى أن مات، وكان صارما في الأحكام دربا بها، أنظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج9، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص4.

44- هو ولي الدين محمد بن علي بن أحمد بن عبد العزيز العقيلي النويري المكي، تولى قضاء المذهب المالكي بمكة سنة 837هـ/1433م، ثم صرف عام 839هـ/1435م لشهور قليلة، ثم أعيد في شهر جمادى الآخرة من السنة نفسها، واستمر في منصبه إلى أن توفي في سنة 842هـ/1438م، وقد كان عفيفا في قضائه، سريع الدمعة، ذا مروءة وأفضال، أنظر: عمر بن فهد، الدر الكمين، مصدر سابق، ص205، تقي الدين المقريزي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تح: محمد عبد القادر عطا، ج7، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1997م، ص425.

45- السخاوي، الضوء اللامع، ج9، مصدر سابق، ص110.

46- حسن الباشا، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، ج2، دار النهضة العربية، القاهرة، 1966م، ص919.

القاضي[47]، وتشترط هذه الوظيفة حسن الكتابة، والأمانة والصدق، ومعرفة الأحكام الشرعية، والتمكن من قواعد اللغة والنحو[48].

وكان ممّن شغل هذا المنصب من ذرية عبد القوي البجائي في مكة المكرمة **جعفر بن يحيى بن عبد القوي (ت894هـ/1490م)** الذي عيّنه القاضي الشافعي برهان الدين بن ظهيرة للتوقيع على بابه، بعدما أُعجب بأمانته وثقته ومهارته، فاشتهر بذلك وأقبل عليه الناس[49]. كما باشر والده هو الآخر التوقيع عند عدة قضاة بمكة[50].

*الشهود: هم الأشخاص الذين يقومون بدراسة واقع القضية والتأكد من صحة البيانات والأدلة التي يقدمها كلا من المتنازعين ثم يشهدون عليها، كما أنهم يدوّنون القرارات المتخذة في حقهما، أمّا قضية تعيّينهم فهي في الحقيقة من صلاحيات قاضي القضاة، وكذلك العزل، ومن حقه استيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة ليحصل له الوثوق بهم[51].

ويمكن تصنيف الشهود إلى ما يلي:

-العدول: وهم الذين يزكون الشهود أمام القاضي لثقته بهم، ويمكنهم أن يقوموا بالشهادة بأنفسهم[52].

-شهود القيمة: هؤلاء يستعين بهم القاضي في التقدير والتثمين، ويعتبر قرارهم ملزم للأطراف المتنازعة[53].

47- عبد الوهاب السبكي، معيد النّعم ومبيد النّقم، ط1، مؤسسة الكتب الثقافية، لبنان، 1986م، ص31.

48- تقي الدين الفاسي، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: فؤاد سيد، ج3، ط2، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1986م، ص109، 136.

49- السخاوي، وجيز الكلام، ص1107، العز بن فهد، بلوغ القرى، ص585.

50- عمر بن فهد، الدر الكمين، مصدر سابق، ص1250.

51- عبد الرحمن بن خلدون، المقدمة، تح: عبد الله محمد الدرويش، ج1، ط1، دار يعرب، دمشق، 2004م، ص407.

52- محمد صالح الطاسان، مرجع سابق، ص314.

53- السبكي، ص64، حسن الباشا، ص621.

-شهود الخط: يقوم هؤلاء بدراسة الوثائق التي تقدم للقاضي كبيّنات لإبداء الرأي فيها، من حيث معرفة خط كاتب الوثيقة وما إذا كان قد طرأ على الوثيقة شيء من التزوير أو التعديل[54].

-شهود رؤية الهلال: وهؤلاء يستعين بهم القاضي لتحري رؤية دخول هلال شهر رمضان وانتهائه، وكذلك لمعرفة دخول شهر ذي الحجة وغيره من الشهور[55].

وممّن تولى وظيفة الشهادة بمكة المكرمة من أسرة عبد القوي **يحيى أبو زكريا بن محمد بن عبد القوي البجائي (ت859هـ/1456م)**، فإلى جانب وظيفته كاتبا للوثائق والعقود مارس أيضا الشهادة، وكانت له معرفة جيدة بها، واشتهرت عدالته بالبلد وذاع صيته فيها[56]، وقد تفوق فيها أيضا حفيده **شرف الدين يحيى بن إدريس بن عبد القوي البجائي (ت926هـ/1525م)** عند باب السلام، وحُمدا في شهادتهما وأثني عليهما، بينما كان عمه **أحمد بن عبد القوي البجائي (ت861هـ/1457م)** عكس ذلك، فعلى الرغم من معرفته الكبيرة بالشهادة نتيجة لخبرته الطويلة فيها، إلا أنه لم يحمد عمله بها[57]. وربما يرجع ذلك إلى تعامله بالرشوة والتزوير.

ثم خلف أحمد ولده **جمال الدين محمد بن عبد القوي (ت909هـ/1508م)**، الذي امتهن وظيفة الشهادة بباب السلام، واشتهر بها بين الناس[58].

2.2- الإفتاء:

أفتاه في الأمر: أبان له، وأفتى الرجل في المسألة، واستفتيته فيها فأفتاني إفتاءً، والفتيا والفُتوى والفَتوى، ما أفتى به الفقيه[59].

والمفتي هو فقيه مشهود له بعلمه الغزير واطلاعه الواسع وفهمه العميق للأحكام الفقهية، ومهمته هي الإجابة على الأسئلة الموجهة إليه من عامة الناس بخصوص الحلال والحرام، وحل المشكلات الدينية المتعلقة بالشرع[60].

54- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج11، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص7.

55- الطاسان، مرجع سابق، ص315.

56- السخاوي، الضوء اللامع، ج10، مصدر سابق، ص250.

57- عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج4، مصدر سابق، 378.

58- العز بن فهد، بلوغ القرى، مصدر سابق، ص1290.

59- إسماعيل بن عبّاد، المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين، ج9، ط1، عالم الكتب، لبنان، 1993م، ص471.

وقد كان أكثر من يفتي بمكة المكرمة هم قضاة المذاهب الأربعة، وكان كثير من العلماء يتحرجون من الإفتاء لوجود القضاة الأربعة بمكة، وذلك باعتبار أن القضاة على درجة كبيرة من العلم الشرعي ومرد الفتيا إليهم، وأمّا العلماء من غير القضاة فإنهم كانوا يفتون غالبا باللسان احتراما لقضاة مكة المكرمة[61]. وهذا يدل على أن قضاة مكة كانوا يكتبون فتاويهم ويرسلون بها إلى من يسأل في مكة وخارجها.

وقد باشر الشيخ **عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي (ت816هـ/1412م)** وظيفة الإفتاء في مكة المكرمة أكثر من ثلاثين سنة، وورد أنه كان يُفتي الناس فيما يحتاجونه داخل المسجد الحرام باللفظ غالبا (فتاوي شفهية)، واشتهر بذلك[62].

3.2- الخطابة:

الخطابة اسم مأخوذ من فعل خطبَ، ونقول خَطبَ الخاطِبُ على المنبر خطابةً، وهو اسم للكلام الذي يتكلم به الخطيب[63].

وتقوم مهام الخطيب بمكة المكرمة على إمامة الناس بالصلاة في الجُمع والأعياد وصلاة الاستسقاء والخسوف والكسوف، وفي أيام موسم الحج، وربما ناب عن الإمام في الصلاة حال غيابه، والدعاء لأمراء مكة على المنابر وبئر زمزم، إضافة إلى السلاطين المماليك[64].

ولخطيب المسجد الحرام مكانة كبيرة في نفوس المسلمين على مختلف طبقاتهم، لذلك لا يتولى هذا المنصب عادة إلا كبار علماء مكة الشافعيين، أو أحد أفراد أسرة اشتهرت بالعلم في مكة بمرسوم صادر من السلطان في مصر[65].

ومن خلال تصفحنا لكتب التراجم وجدنا أن بعض أفراد أسرة ابن عبد القوي قد توارثوا وظيفة الخطابة في المولد النبوي الشريف، وهذه عادة لا يقوم بها جميع الخطباء.

60- السبكي، مصدر سابق، ص101-105.

61- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج5، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص183.

62- ابن تغري بردي، ج7، مصدر سابق، ص328.

63- محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، القاموس المحيط، تح: محمد نعيم العرقسوسي، ط8، مؤسسة الرسالة، لبنان، 2005م، ص81.

64- عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج3، مصدر سابق، ص345، 363، 493.

65- نفسه، ص509.

نذكر من بينهم **أبو المكارم بن الشيخ كمال الدين بن عبد القوي البجائي**، حيث ألقى أول خطبة له سنة 912هـ /1511م في المكان الذي يقال أنّ النبي صلى الله عليه وسلم ولد فيه، وهو مسجد بالقرب من الصفا بمنطقة سوق الليل، وذلك بحضور القضاة الأربعة، وعدد من علماء وأعيان مكة وعامة الناس[66].

وأحمد بن عبد الرحمن بن عبد القوي البجائي، الذي خطب في المولد الشهابي سنة 933هـ /1532م كعادة سلفه، ودعا للسلطان المملوكي وصاحب مكة والناظر[67].

4.2- الحسبة:

الحسبة في اللغة: مأخوذة من الفعل حسبَ بمعنى عدَّ، وكل ما هو معدود محسوب[68].

والحسبة شرعا: هي أمر بالمعروف إذا ظهر تركه، والنهي عن المنكر إذا ظهر فعله[69].

قال الله تعالى: {ولتكن منكم أمّة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون}[70].

وكان يتولى وظيفة الحسبة في مكة الشخصيات المشهود لها بالكفاءة والأمانة والذكاء، وقد يختار لشغل هذا المنصب بعض القضاة من ذوي الرأي السديد، نظرا لاتصال الحسبة بالقضاء وإن استقلت عنه[71].

كما كان يعيّن المترشح لهذا المنصب بمرسوم سلطاني، سواء من شريف مكة المكرمة، أو من سلاطين المماليك في مصر، ويرجع ذلك لأهمية المهام والأعمال التي يقوم بها متوليها[72].

وقد اشترط الفقهاء في متولي الحسبة عدة شروط منها؛ الإسلام، والحرية، والبلوغ، والعقل، والعدل، والقدرة على القيام بالمهام المنوط بها، والالمام بالشريعة الإسلامية

66- العز بن فهد، بلوغ القرى، مصدر سابق، ص1519.

67- جار الله بن فهد، نيل المنى، مصدر سابق، ص396.

68- الفيروزآبادي، مصدر سابق، ص74.

69- علي الماوردي، الأحكام السلطانية، تح: أحمد جاد، دار الحديث، القاهرة، 2006م، ص349.

70- سورة آل عمران، الآية: 104.

71- العز بن فهد، بلوغ القرى، مصدر سابق، ص826.

72- باعامر محمد سالم بكر، الحسبة في مكة المكرمة عصر سلاطين المماليك، مجلة العلوم العربية والإنسانية، جامعة القصيم، مج7، ع2، 2014م، ص828.

والتطبيق الفعلي لها، وأن يكون ذا رأي وألا يكون قوله مخالفا لفعله وأن يكون ملتزما بالسنة النبوية[73].

ومهام المحتسب كثيرة ومتشعبة منها؛ تفقد أحوال السوق والطرقات مع المحافظة على نظافتها، وإلزام التجار باستخدام المكاييل والمقاييس والأوزان المختومة بختم المحتسب، ومنع الارتفاع الفاحش في الأسعار، واحتكار البضائع، والتأكد من صحة وسلامة ما يبيعه التجار من المشروبات واللحوم، والتأكد أيضا من صحة النقود المستخدمة ووزنها، وعلى المحتسب أيضا النظر في أمر الوعاظ، فلا يقوم به إلا من اشتهر بين الناس بالدين والخير والصلاح، والاهتمام بالمساجد ومنع الاجتماع فيها لغير الصلاة، والمحافظة على الأخلاق والآداب العامة[74].

وكان ممّن تولى وظيفة الحسبة بمكة المكرمة من أسرة عبد القوي **الشيخ أحمد بن عبد القوي بن محمد البجائي (ت861هـ/1458م)**[75]، وذلك نيابة عن القاضي أبي البقاء بن الضياء[76].

5.2- خدمة الأضرحة:

لقد تخصص بعض أفراد أسرة ابن عبد القوي في خدمة أضرحة الصحابة والصالحين التي كانت مشهورة في مكة المكرمة وقتئذ، نذكر من أبرزهم **زين الدين أبو الفضل بن أبي اليسر بن عبد القوي البجائي (ت926هـ/1525م)** الذي عمل خادما لضريح السيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها[77].

3- أسرة ابن عبد القوي البجائي ونشاطاتها العلمية في مكة المكرمة:

73- الماوردي، الأحكام السلطانية، مصدر سابق، ص350.

74- السبكي، مصدر سابق، ص56.

75- عمر بن فهد، الدر الكمين، ص465، عبد الله المعلمي، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، ج1، ط1، مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، لندن، 2000م، ص129.

76- هو محمد بن أحمد بن الضياء القرشي العمري الحنفي بهاء الدين أبو البقاء، ناب في القضاء بمكة المكرمة عن والده، فلما توفي والده في سنة 825هـ/1421م استقل بالوظيفة، ثم جمع له في سنة 827هـ/1423م مع القضاء نظر الحرم والحسبة بمكة عن أبي الفضل النويري، ثم عزل عن ذلك باستثناء القضاء في سنة 830هـ/1427م، واستمر قاضيا إلى أن توفي في سنة 854هـ/1450م، أنظر: عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج4، مصدر سابق، ص302.

77- جار الله بن فهد، نيل المنى، مصدر سابق، ص240.

لعب أفراد أسرة ابن عبد القوي البجائي دورا مهما في تطور الحركة العلمية وإنمائها بمكة المكرمة خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (15/14م)، وقد اتضح ذلك جليا في تصدرهم لعملية التدريس والإقراء داخل أروقة المسجد الحرام، ومنح طلبتهم الإجازات المختلفة، فضلا عن المؤلفات العلمية النفيسة التي صنفوها في شتى الفنون والمعارف، نذكر من أبرزهم:

-عبد القوي بن محمد بن عبد القوي البجائي (ت816هـ/1412م)، جلس للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام لأكثر من أربعين سنة، خاصة في الفقه واللغة العربية، وكان يحلي دروسه بكثير من الأحاديث والأشعار والحكايات[78] للترويح عن تلامذته، وتجديد انتباههم.

ولعل سبب إقبال الناس على دروسه، وسر الإبداع فيها، هو ورع صاحبها وتواضعه وطول باعه في شتى العلوم، ولهذا أسبغ عليه السخاوي صفة الولاية، فقال عنه «العلامة الوالي»[79].

-محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي (ت852هـ/1457م)، أسهم بجهود كبيرة في تنشيط حلقات الدرس في علوم الحديث الشريف، والأدب، والتاريخ وأنساب العرب بالمسجد الحرام، وانتفع به خلق كثير من طلبة العلم، نذكر من بينهم عبد الرحمن بن أبي بكر بن فهد المكي الشافعي (ت873هـ/1469م)[80]، وأحمد بن علي المقريزي (ت845هـ/1441م)، وإبراهيم بن حسن البقاعي المصري (ت885هـ/1481م)[81].

كما كان بعض تلامذته يقفون عند بابه ليجيزهم بما عنده، ومنهم السخاوي نفسه، حيث أكد في كتابه الضوء اللامع أنه أجاز له، وقد سجل ذلك شعرا فقال[82]:

أجزت لهم ما رويت بشرطه ومالي من نظم بديع ومن نثر

بواحدة بعد الثمانين مولدي بمكة من شوال ثالثة العشر

78- أحمد بابا التنبكتي، مصدر سابق، ص286.

79- السخاوي، وجيز الكلام، مصدر سابق، ص1107.

80- عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج4، ص501.

81- إبراهيم بن حسن البقاعي، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، ج2، مخطوط مصور ميكروفلم برقم 4911، بدار الكتب القومية، القاهرة، تخصص: تاريخ، و244.

82- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج8، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص73.

-أحمد بن عبد القوي البجائي (ت861هـ/1458م)، من كبار المحدثين في زمانه، تفرغ للتدريس في الحرم الشريف، وقد حلق حوله عشرات الطلبة، وكان ممّن سمع منه تلميذه النجم بن فهد الهاشمي[83] ابن إحدى العائلات العريقة بمكة.

ونقل هذا الأخير عن معلمه بعض القصائد التي كان ينشدها في المسجد الحرام، منها قوله:

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة بطيبة حيث الطيبون نزول

وهل أرد الزرقاء ريا وأنثنـــــي إلى روضة فالظل ثم ظليـــل[84]

-رقية ابنة الشيخ عبد القوي بن محمد البجائي (ت874هـ/1470م)، وهي عالمة محدّثة، من فضليات النساء، وكان يتقدم إليها العلماء لتجيزهم، ومن أشهر طلبتها الإمام محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت902هـ/1501م)[85]، وجلال الدين السيوطي المصري (ت911هـ/1510م)[86]، الذي أجازته بما ترويه عن مشائخها في مصطلح الحديث الشريف، وقد ذكر ذلك في ثبته الكبير "أنشاب الكشب في أنساب الكتب"[87].

-السراج معمر بن يحيى بن عبد القوي البجائي (ت897هـ/1493م)، من كبار فقهاء المالكية بمكة في ذلك الوقت، اشتغل بتدريس الفقه والأصول والنحو والمعاني والبيان بالمسجد الحرام[88]، كما تميز أيضا في علم الحديث الشريف، وعلم المنطق، وله من

83- عمر بن فهد، الدر الكمين، ص465.

84- عمر بن فهد، الدر الكمين، مصدر سابق، ص465.

85- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج12، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص34.

86- جلال الدين السيوطي، المنجم في المعجم، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، ط1، دار ابن حزم، لبنان، 1995م، ص119.

87- جلال الدين السيوطي، أنشاب الكشب في أنساب الكتب، تح: إبراهيم باجس عبد المجيد، مج1، ط2، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، المملكة العربية السعودية، 2018م، ص205، 247، 376، 520، 574.

88- عمر بن فهد، الدر الكمين، ص1204.

المصنفات شرح "قطر الندى" في النحو لابن هشام، اطلع عليه السخاوي وأعجب به، كما قرّضه له غير واحد من مشايخ المشرق الإسلامي كالجوجري، وابن الصيرفي[89].

وكان يحضر دروسه الفضلاء من سائر المذاهب، ومجالسه مشرفة بالنبلاء من أهل المشارق والمغارب، وكان ممّن أخذ عنه عالم الحجاز ورئيسه برهان الدين بن ظهيرة الشافعي (ت891هـ/1488م)[90]، الذي كان يصغي إلى مباحثه ويميل إلى كلامه ويعتمده في نقل مذهبه[91].

4- علاقات أسرة ابن عبد القوي في مكة المكرمة:

1.4- العلاقة بالعلماء داخل وخارج مكة المكرمة:

كانت أسرة ابن عبد القوي من أشهر العائلات العلمية بمكة المكرمة خلال القرن الثامن والتاسع الهجريين (14/15م)، يشار إليها بالبنان، ولهذا كان من الطبيعي أن تربطهم ببقية العلماء علاقات صداقة وود واحترام.

ومن صور العلاقات التي جمعت أبناء أسرة ابن عبد القوي بعلماء مكة، ما كان من قطب الدين محمد بن عبد القوي بن محمد البجائي (ت852هـ/1448م)، حينما هنأ قاضي القضاة جلال الدين أبا السعادات محمد بن ظهيرة (ت861هـ/1457م)[92] بعد عودته إلى مكة من القاهرة سنة 841هـ/1437م، بنظمه قصيدة طويلة عبّر فيها عن فرحته، اخترنا منها هذه الأبيات:

نَعَم فَلنا البُشرى بلقيــاك والهَنــا ولله ما يَرْضى من الحمد والثنا

قدمت إلى أم القرى فازدهى بها قــدومٌ تراه بالسعادات مُؤْذنــا[93]

ولعل القصيدة الرائعة التي قالها في رثاء صديقه وابن شيخ أبيه، عالم الحجاز محمد بن موسى المراكشي الشافعي، والتي يتجاوز عدد أبياتها أربعين بيتا، أكثر دلالة على

89- محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع القرن التاسع، ج6، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص217، محمد جمال حامد الشوربجي، ابن الصيرفي حياته ومؤلفاته التاريخية، معهد المخطوطات العربية، القاهرة، 2019م، ص16.

90- عبد الحي ابن عماد الحنبلي، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، تح: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، مج9، ط1، دار ابن كثير، بيروت، 1993م، ص525.

91- السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص163.

92- عمر بن فهد، الدر الكمين، ص335.

93- عمر بن فهد، إتحاف الورى، ج4، مصدر سابق، ص108.

العلاقة الوطيدة التي كانت تجمعه به، كما أنها تدل أيضا على شاعريته ورهافة حسه ورقة شعوره، نذكر منها بعض الأبيات[94]:

من للـــمحابر والأقلام والكتب بعد ابن موسى ومن للعلم والأدب

من للـــرواية أو من للدراية أو ومن للقراءة من للجد في الـــطب

من للـــبراعة أو من لليراعة أو من للـــــوراعة للهدى والـــــقرب

كما لم يكن مؤرخ مكة عبد العزيز بن فهد[95] يذكر الفضل كمال الدين بن عبد القوي البجائي (ت918هـ/1517م) إلا بصفة الصاحب والصديق، ونفس الأمر بالنسبة للجمال محمد بن معمر بن عبد القوي البجائي.

ومن مظاهر محبة علماء مكة لأبناء أسرة ابن عبد القوي، أنهم كانوا يساندونهم ويقفون إلى جانبهم وقت الشدائد، ومن ذلك وقوف الشيخ المدّرس النحوي عفيف الدين عبد الله الفاكهي إلى جانب جارته أم الهدى ابنة الشيخ فضل بن عبد القوي البجائي أثناء مرضها، بحيث أنه لم يظهر فرحته بمولوده الأول مراعاة لمشاعرها[96].

وكانت تشكل وفاة أحدهم حالة حزن عميقة لدى علماء مكة، يعبرّون عنها بأبيات من الرثاء، فحينما توفي قطب الدين محمد بن عبد القوي البجائي في سنة 852هـ/1448م، رثاه صهره البدر بن العليف بأبيات من الشعر تأسفا على رحيله.

94- تقي الدين بن فهد، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1998م، ص277.

95- هو عز الدين عبد العزيز بن عمر بن محمد بن فهد المكي الهاشمي، ولد في سنة 850هـ/1446م بمكة المكرمة، ونشأ بها كما ينشأ أبناء العلماء في بيئة العلم ورحاب المعرفة، وتربى في كنف والده وجده، حافظي مكة، ونهل من علومهما وفوائدهما الكثير، ثم جرى على سننهما وسنن المحدثين قبلهما، وقام بعدة رحلات علمية، وسمع على الكثير من العلماء، ومن مشايخه في الحجاز برهان الدين بن ظهيرة، وشرف الدين أبو الفتح المراغي، وزين الدين عبد الرحيم الأميوطي، وله من المؤلفات: "بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى"، و"غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام"، و"الحجة الدامغة لرجال الفصوص الزائغة"، توفي سنة 922هـ/1516م ودفن بالمعلاة، أنظر: محمد بن عبد الرحمن السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، ج4، ط1، دار الجيل، بيروت، 1992م، ص224، ناصر سعد الرشيد، بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة، مجلة العرب، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، مج11، ع11-12، 1977م، ص923.

96- جار الله بن فهد، نيل المنى، مصدر سابق، ص805.

وكما كان لأبناء أسرة ابن عبد القوي البجائي علاقات بعلماء مكة، كان لهم كذلك علاقات بعلماء خارج مكة، يراسلونهم ويتبادلون معهم الزيارات العلمية، ويحفظون ودّهم وصداقتهم، من ذلك صداقة أبو الخير بن عبد القوي البجائي وتقي الدين بن قاضي شهبة الشافعي[97] عالم الشام في عصره ومؤرخها، اللذان كانا يتبادلان الرسائل والأشعار فيما بينهما لاسيما في أخبار مكة والحجاز وحكامها وخططها، وقد التقيا في موسم حج سنة 837هـ/1433م بمنى، ولام عندها أبو الخير صاحبه ابن شهبة لعدم مراسلته أول قدومه، وقال له: «كنت أحج معك وأريك كل مكان بمكة وكل مزار، ومقابر كثيرة لا يعرفها الناس...»[98].

كما جالس مؤرخ مصر ابن تغري بردي[99] الشيخ أبو الخير بن عبد القوي البجائي مجالس كثيرة آخرها سنة 852هـ/1448م، واستفاد منه ما وقع بمكة قديما وحديثا، ووقعت بينهما إضافة إلى ذلك مذاكرات ومباحثات طويلة في مسائل علمية مختلفة[100].

97- هو أحمد بن محمد بن عمر تقي الدين المعروف "بابن قاضي شهبة" الدمشقي الشافعي، ولد في دمشق سنة 779هـ/1378م ونشأ بها، تفقه بوالده وغيره، وسمع من أكابر علماء عصره، تولى التدريس في عدد كبير من المدارس كالظاهرية الجوانية، والبرانية، والتّقوية، والناصرية، والركنية، والمسرورية وغيرها، وانتفع به خلق كثير من طلبة العلم، كما تولى منصب نيابة القضاء بدمشق عام 820هـ/1416م، ثم ارتقى إلى رئاسة القضاء مستقلا به عام 837هـ/1433م، أما عن مصنفاته العلمية فقد بلغت 25 كتابا، من أهمها، "طبقات الشافعية"، و"طبقات اللغويين والنحاة"، "المنتقى في الأنساب لابن سمعاني"، توفي سنة 851هـ/1447م، أنظر: ابن العماد الحنبلي، مج9، مصدر سابق، ص392، تقي الدين ابن قاضي شهبة، تاريخ ابن قاضي شهبة، تح: عدنان درويش، مج2، ط1، المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، دمشق، 1994م، ص28-30.

98- السخاوي، الضوء اللامع، مصدر سابق، ج8، ص72.

99- هو يوسف بن عبد الله الظاهري الحنفي أبو المحاسن جمال الدين، المعروف بابن تغري بردي، ولد سنة 813هـ/1409م بالقاهرة، كان من كبار أمراء المماليك في عهد السلطان الظاهر سيف الدين برقوق، تتلمذ على أيدي كبار مشايخ عصره أمثال زوج أخته قاضي القضاة جلال الدين البلقيني، وابن حجر العسقلاني، وتقي الدين الشمني، وغيرهم، ترك مكتبة ضخمة عامرة بالمؤلفات وفي مختلف أنواع العلوم النقلية والعقلية، من أشهرها "المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي"، و"النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، و"حوادث الدهور في مدى الأيام والشهور"، توفي في سنة 874هـ/1473م، أنظر: السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص305، ابن العماد الحنبلي، شذرات الذهب، مج9، ص472.

100- يوسف بن تغري بردي، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تح: محمد محمّد أمين، ج10، دار الكتب والوثائق القومية، القاهرة، 2003م، ص125.

وأمّا العلامة السخاوي فقد كانت علاقته ممتازة مع أبو اليسر معمر بن عبد القوي البجائي، حيث أفرد صفحات من تاريخه في ذكره، وأعجب بذكائه، وورعه وتواضعه، وأدبه، وعزة نفسه، وكان السراج معمر يراسله ببعض القصائد، جاء في إحداها[101]:

سَـــلاَم على دَارِ الغُرور لأنَهـــــا مُكدرة لذاتهـَــا بالفَجائِــع

فَإنْ جَمَعتَ بيْن المُحبين سَاعَة فَعمَا قَلِيل أردفتْ بالمَوانِع

2.4- علاقات المصاهرة بمكة المكرمة:

لم يعش أفراد أسرة ابن عبد القوي البجائي بمعزل عن المجتمع المكي، بل عاشوا في صميمه بكل روح وثابة، ونفس منفتحة، اندمجوا مع المحيط الجديد، وتأقلموا مع ظروفه وأحواله، وتجاوبوا مع متطلباته وحاجاته، ومن مظاهر هذا الاندماج والتمازج تكوين علاقات زواج وعقد مصاهرات مع الأسر المكية التي تنتمي إلى الطبقة العلمية المميّزة بمكة. فمن بين الأسر العلمية الشهيرة التي تصاهرت معها أسرة ابن عبد القوي، نجد أسرة الفاسي الحسني[102]، حيث تزوج شرف الدين يحيى بن عبد القوي عائشة ابنة الشريف أبي الخير محمد بن عبد اللطيف الفاسي، ثم لحق به ابنه أبو السرور الذي تزوج بابنة خالته شريفة بنت عبد اللطيف بن أبي الخير الفاسي[103].

كما تصاهرت أسرة ابن عبد القوي البجائي مع أسرة الزين القسطلاني[104]، إذ تزوج أبو الخير بن عبد القوي بأم كلثوم ابنة محمد القسطلاني (ت876هـ/1472م) وولدت له عليا[105]، وتزوج الشيخ سراج الدين معمر ابن عبد القوي كذلك بستيت بنت الكمال أبي البركات محمد القسطلاني سنة 888هـ/1484م، وأنجب منها أبو النصر أحمد شهاب الدين، وعبد الله العفيف، وأبو اليمن طاهر[106].

101- السخاوي، الضوء اللامع، ج10، ص163.

102- نسبة إلى مدينة فاس، وهي مدينة كبيرة على بر المغرب من بلاد البربر، من أجّل المدن قبل أن تختط مراكش، أنظر: ياقوت الحموي، معجم البلدان، مج4، ط1، دار صادر، بيروت، 1977م، ص230.

103- العز بن فهد، بلوغ القرى، مصدر سابق، ص2024.

104- تنسب هذه الأسرة العلمية العريقة بمكة إلى قسْطِيلِيةُ أو قَسْطلّينة من إقليم إفريقية غربي قفصة، وتعد قسطيلية وتوزر وقفصة بلاد بإفريقية بالناحية التي تعرف ببلاد الجريد، ولذلك نجد أن هناك من أسرة القسطلاني من حُدد بالتوزري، أنظر: ياقوت الحموي، مج4، مصدر سابق، ص348.

105- عمر بن فهد، الدر الكمين، ص1605، السخاوي، الضوء اللامع، ج12، ص151.

106- العز بن فهد، بلوغ القرى، ص361.

ولم تكن علاقات أسرة ابن عبد القوي في مكة المكرمة محدودة بالأسر العلمية المشهورة فحسب، بل امتدت علاقاتها بعدد آخر من الأسر الوافدة على البلد الحرام كأسرة الفاكهي المصرية، حيث تزوج إدريس بن عبد القوي البجائي من الحرة بنت محمد الكبير الفاكهي، وأنجب منها توأمان، وأسرة ابن عزم اليمنية، حيث تزوج أبو الفضل بن محمد بن أبي الخير ابن عبد القوي من رقية بنت الشيخ شمس الدين محمد بن عزم اليمني (ت922هـ/1521م)[107]، وأسرة ابن مصلح العراقي، حيث تزوج شرف الدين يحيى بن إدريس بن عبد القوي بأم الخير ابنة شيخ البيمارستان برهان الدين إبراهيم[108].

الخاتمة: توصلنا في نهاية هذه الدراسة إلى جملة من النتائج المهمة، نوردها كالآتي:

-أظهرت الدراسة الأصول الجغرافية لأسرة ابن عبد القوي التي ترجع إلى مدينة بجاية احدى أشهر مدن المغرب الأوسط.

-تحكمت جملة من العوامل والدوافع في هجرة مؤسس أسرة ابن عبد القوي البجائي إلى مكة المكرمة والاستقرار بها خلال القرنين الثامن والتاسع الهجريين (14/15م)؛ من بينها التفرغ للعبادة والتقرب من الله عز وجل، ثم الإرتشاف من حياض العلم والمعرفة ما يروي ظمأه، ويملأ وطابه، وهي فرصة لا تتكرر في غيرها من المدن والأصقاع الأخرى.

-اعتنت الأسرة بأبنائها وحرصت أشد الحرص على تنشئتهم نشأة علمية دينية منذ الصغر، وذلك بتحفيظهم كتاب الله، وتعليمهم العلوم الشرعية واللغوية، وحثهم على الرحلة في طلب العلم، لتحصيل الملكات العلمية وترسيخها، وتصحيح المعلومات، وتثبيت الأفكار.

-شغل أفراد أسرة ابن عبد القوي العديد من الوظائف الدينية بمكة المكرمة لا سيما الوظائف العليا في الدولة كالقضاء، والإفتاء، والخطابة، ممّا جعلهم يخدمون المجتمع الذي يعيشون فيه.

107- نفسه، ص2030.

108- جار الله بن فهد، نيل المنى، ص226.

-كان أفراد أسرة ابن عبد القوي البجائي شرفاء نزهاء في وظائفهم، ولم نسمع عن فسادهم، باستثناء واحد منهم، ممّن تشوهت سمعته بالرشوة والزور.

-اتضح لنا في هذه الدراسة مدى مشاركة أسرة ابن عبد القوي البجائي الفاعلة في تنشيط الحركة العلمية وإثرائها من خلال عقد أفرادها للمجالس والدروس العلمية المتنوعة داخل أروقة المسجد الحرام، فضلا عن منح الإجازات للطلبة الذين يرون فيهم الكفاءة والأهلية لها.

-بيّنت الدراسة أن كثرة الأدباء والشعراء من أسرة ابن عبد القوي البجائي إنما يدل على سمو ثقافتهم ورقي فكرهم.

-كانت لأفراد أسرة ابن عبد القوي البجائي مكانة علمية مرموقة بين علماء عصرهم، تتضح من تقديرهم واحترامهم لهم .

-اندمج أفراد أسرة ابن عبد القوي في المجتمع المكي، وشكلوا على مر الأيام والسنين جزء لا يتجزأ منه، حيث اختلط هؤلاء بأهل مكة -بمختلف طبقاتهم وأطيافهم- عن طريق المصاهرة والزواج.

-لا نبالغ إذا قلنا أنّ تجذر المذهب المالكي وانتشاره بأراضي الحجاز –يعود الفضل فيه للدور الفعال- الذي قام به فقهاء أسرة ابن عبد القوي البجائي. ثم إن العمل على التعريف بأسرة ابن عبد القوي البجائي قد يفتح الطريق للحديث عن أسر وعائلات علمية أخرى، لا تزال حبيسة الإهمال، ولم تصل إليها أيادي الباحثين بعد، بالرغم من دورها العلمي والثقافي الذي أسهم في بناء صرح الحضارة العربية الإسلامية، وبالتالي فهي بحاجة ماسة إلى دراسات أكاديمية جادة ومعمقة، وإلى أقلام وطنية مخلصة تستجلي الحقائق من مصادرها الأصلية، وتبرز دورها الحقيقي المنوط بها.

قائمة المراجع:

ابن تغري بردي، جمال الدين يوسف، المنهل الصافي والمستوفي بعد الوافي، تحقيق: محمد محمّد أمين، القاهرة؛ دار الكتب والوثائق، 1993م.

ابن تغري بردي، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، القاهرة؛ الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1970م.

ابن حجر العسقلاني، شهاب الدين، إنباء الغمر بأنباء العمر، تحقيق: حسن حبشي، القاهرة؛ لجنة إحياء التراث الإسلامي، 1969م.
ابن حجر العسقلاني، المجمع المؤسّس للمعجم المفهرس، تحقيق: يوسف عبد الرحمن الرعشلي، لبنان؛ دار المعرفة للطباعة والنشر، ط1، 1994م.
ابن خلدون، عبد الرحمن، المقدمة، تحقيق: عبد الله محمد الدرويش، دمشق؛ دار يعرب، مكتبة الهداية، ط1، 2004م.
ابن الشّماع، أبو عبد الله محمد، الأدلة البيّنة النورانية في مفاخر الدولة الحفصية، تحقيق: الطاهر بن محمد المعموري، تونس؛ الدار العربية للكتاب، 1984م.
ابن عبّاد، إسماعيل الصاحب، المحيط في اللغة، تح: محمد حسن آل ياسين، لبنان؛ عالم الكتب، ط1، 1993م.
ابن عماد الحنبلي، عبد الحي، شذرات الذّهب في أخبار من ذهب، تحقيق: عبد القادر الأرناؤوط، محمود الأرناؤوط، بيروت: دار ابن كثير، ط1، 1993م.
ابن فهد، تقي الدين الهاشمي المكي، لحظ الألحاظ بذيل طبقات الحفاظ، لبنان؛ دار الكتب العلمية، ط1، 1998م.
ابن فهد، جار الله الهاشمي المكي، حسن القرى في أودية أم القرى، تحقيق: علي عمر، القاهرة؛ مكتبة الثقافة الدينية، ط1، 2001م.
ابن فهد، جار الله، نيل المنى بذيل بلوغ القرى لتكملة إتحاف الورى، تحقيق: محمد الحبيب الهيلة، المدينة المنورة؛ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 2000م.
ابن فهد، عبد العزيز الهاشمي المكي، بلوغ القرى في ذيل إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: صلاح الدين بن خليل إبراهيم، مصر؛ دار القاهرة، ط1، 2005م.
ابن فهد، عمر الهاشمي المكي، إتحاف الورى بأخبار أم القرى، تحقيق: فهيم محمد شلتوت، عبد الكريم علي باز، مكة المكرمة؛ مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، ط1، 1984م.
ابن فهد، عمر، الدر الكمين بذيل العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تح: عبد الملك دهيش، بيروت؛ دار خضر للطباعة والنشر، ط1، 2000م.
ابن قاضي شهبة، تقي الدين أبو بكر الأسدي الدمشقي، تاريخ ابن قاضي شهبة، تحقيق: عدنان درويش، دمشق؛ المعهد العلمي الفرنسي للدراسات العربية، 1994م.
ابن قنفذ القسنطيني، أحمد الخطيب، أنس الفقير وعز الحقير، تحقيق: محمد الفاسي، أدولف فور، الرباط؛ المركز الجامعي للبحث العلمي، جامعة محمد الخامس، 1965م.
ابن لعلام، محمد الصغير، علماء من زواوة، الجزائر؛ شركة الأصالة، ط3، 2019م.
الإدريسي، الشريف، صفة المغرب وأرض السودان ومصر والأندلس (مقتبس من كتاب نزهة المشتاق)، ليدن؛ مطبعة بريل، ط1، 1863م.
البقاعي، إبراهيم بن حسن، عنوان الزمان بتراجم الشيوخ والأقران، مخطوط مصور ميكروفلم، القاهرة؛ دار الكتب القومية، رقم 4911، تخصص: تاريخ.
التنبكتي، أحمد بابا، نيل الإبتهاج بتطريز الدّيباج، تقديم: عبد الحميد عبد الله الهرامة، طرابلس؛ منشورات كلية الدعوة الإسلامية، ط1، 1989م.
الحداد، محمد حمزة إسماعيل، السلطان المنصور قلاوون، القاهرة؛ مكتبة مدبولي، ط2، 1998م.
الحموي، ياقوت، معجم البلدان، بيروت؛ دار صادر، ط1، 1977م.

الرشيد، ناصر سعد، "بنو فهد مؤرخو مكة المكرمة"، **مجلة العرب**، دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر، المملكة العربية السعودية، مج11، ع11-12، 1977م، من ص 908 إلى ص941.
السبكي، عبد الوهاب، معيد النّعم ومبيد النّقم، لبنان؛ مؤسسة الكتب الثقافية، ط1، 1986م.
السخاوي، محمد بن عبد الرحمن، التبر المسبوك في ذيل السلوك، تحقيق: نجوى مصطفى كامل، لبيبة إبراهيم مصطفى، القاهرة؛ دار الكتب والوثائق القومية، 2007م.
السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، بيروت؛ دار الجيل، ط1، 1992م.
السخاوي، وجيز الكلام في الذيل على دول الإسلام، تحقيق: بشار عوّاد معروف، عصام فارس الحرستاني، أحمد الخطيمي، بيروت؛ مؤسسة الرسالة، ط1، 1995م.
السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر، المنجم في المعجم، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، لبنان؛ دار ابن حزم، ط1، 1995م.
السيوطي، أنشاب الكتب في أنساب الكتب، تحقيق: إبراهيم باجس عبد المجيد، المملكة العربية السعودية؛ مركز الملك فصيل للبحوث والدراسات الإسلامية، ط2، 2018م.
الشوربجي، محمد جمال حامد، ابن الصيرفي حياته ومؤلفاته التاريخية، القاهرة؛ معهد المخطوطات العربية، 2019م.
الطاسان، محمد بن صالح، "القضاء في مكة في العصر المملوكي"، **مجلة العصور**، دار المريخ للنشر، المملكة العربية السعودية، مج6، ج2، 1991م، من ص299 إلى ص318.
العبدري، محمد البلنسي، الرحلة المغربية، تقديم: سعد بوفلاقة، الجزائر؛ منشورات بونة، ط1، 2007م.
العربي، إسماعيل، "بجاية العاصمة الثانية لبني حمّاد"، **مجلة الثقافة**، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر، ع18، 1973م، من ص23 إلى ص38.
الغازي، عبد الله، إفادة الأنام بذكر أخبار بلد الله الحرام، تحقيق: عبد الملك دهيش، مكة المكرمة؛ مكتبة الأسدي، ط1، 2009م.
الفاسي، تقي الدين، العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: فؤاد سيد، بيروت؛ مؤسسة الرسالة، ط2، 1986م.
الفاسي، ذيل التقييد لمعرفة رواة السنن والمسانيد، تحقيق: محمد صالح المراد، مكة المكرمة؛ جامعة أم القرى، ط1، 1997م.
الفيروزآبادي، محمد بن يعقوب، القاموس المحيط، تحقيق: محمد نعيم العرقسوسي، لبنان؛ مؤسسة الرسالة، ط8، 2005م.
الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد البصري، الأحكام السلطانية، تحقيق: أحمد جاد، القاهرة؛ دار الحديث، 2006م.
المعلمي، عبد الله، أعلام المكيين من القرن التاسع إلى القرن الرابع عشر الهجري، لندن؛ مؤسسة الفرقان للتراث الإسلامي، ط1، 2000م.
المقريزي، تقي الدين أحمد بن علي، السلوك لمعرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبد القادر عطا، لبنان؛ دار الكتب العلمية، ط1، 1997م.
المقريزي، درر العقود الفريدة في تراجم الأعيان المفيدة، تحقيق: محمود الجليلي، بيروت؛ دار الغرب الإسلامي، ط1، 2002م.
باشا، حسن، الفنون الإسلامية والوظائف على الآثار العربية، القاهرة؛ دار النهضة العربية، 1966م.
بكر، باعمر محمد سالم، "الحسبة في مكة المكرمة عصر سلاطين المماليك"، **مجلة العلوم العربية والإنسانية**، جامعة القصيم، المملكة العربية السعودية، مج7، ع2، 2014م، من ص 807 إلى ص882.

بوتشيش، إبراهيم القادري، "العلماء المجاورون بمكة: نموذج للملتقيات العلمية بمكة في العصر الوسيط"، **مجلة ثقافتنا للدراسات والبحوث**، مؤسسة الفكر الإسلامي، إيران، ع33، 2012م، من ص 89 إلى ص110.
سيدي موسى، محمد الشريف، مدينة بجاية الناصرية (دراسة في الحياة الاجتماعية والفكرية)، تقديم: محمد الأمين بلغيث، الجزائر؛ دار كرم الله للنشر والتوزيع، 2011م.
عزوق، عبد الكريم، الآثار الإسلامية ببجاية، الجزائر؛ مؤسسة الضحى، ط1، 2013م.
عمارة، طه عبد القادر، تاريخ عمارة وأسماء أبواب المسجد الحرام حتى نهاية العصر العثماني، مكة المكرمة؛ جامعة أم القرى، 2008م.
Gsell Stéphane, atlas archéologique de l'Algérie, Alger ; Bibliothèque de la Maison de l'Orient et de la Méditerranée (MOM), 1911,